فضل اللَّه ورحمته بالمؤمنين في الحياة الدنيا

. . . المؤمن عند اللَّه عظيم في مكانته تشمله الرحمة الإلٰهية في مراحله الثلاث مرحلة الدنيا ومرحلة البرزخ ومرحلة الخلود في الجنة. . . فهو في ولاية اللَّه سبحانه وحفظه وكرمه.

. . . ففي الدنيا وسع اللَّه سبحانه على المؤمن فكان يكسبه الخير والحسنات في كل حركة من حركاته، وفي كل عمل من أعماله طالما هو مؤمن طائع للَّه سبحانه، وما ذلك إلا ليأتيه المؤمن يوم القيامة وما عليه ذنب أو خطيئة إلا وقد غفرها اللَّه سبحانه له.

. . . عن سعد رضي اللَّه عنه قال: قال: رسول اللَّه ﷺ:

«عجبت للمسلم إذا أصابته مصيبة احتسب وصبر، وإذا أصابه خير حمد اللَّه وشكر، إن المسلم يؤجر في كل شيء حتى في اللقمة يرفعها إلى فيه».

[رواه الطيالسي والبيهقي (صحيح)]

ومعنى الحديث الشريف: أن المؤمن المسلم يكسب في حياته الدنيا من الحسنات والخير ما لا يعلمه إلا اللَّه ولا يستطيع بشر حصره ولا عده. . . وإذا كانت هذه حالَ اللقمة فكيف هي حال التسبيح والتحميد وقراءة القرآن وحفظه، والصدقات والفرائض والنوافل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصنيعة المعروف وصلة الرحم والصبر

والصدق والقنوت والاستغفار والإنفاق والجهاد والشهادة.

أبواب شرعها اللَّه سبحانه للمؤمن لينال بواسطتها أعظم الأجر فيأتي ربه في البرزخ ويوم القيامة بصحيفة ملأى بالحسنات بعد أن غفر اللَّه سبحانه له ذنوبه بما قدَّم من طاعات وحسنات، يقول تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

[سورة الرعد، الآية: ٢٢]

﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾.

[سورة هود، الآية: ١١٤]

وهذا بفضل اللَّه سبحانه للمؤمن خالصاً دون الكافر الذي يموت على المعصية والضلال، فليس له عند اللَّه عهد ولا ذمة ولا فضل ولا حسنة، حتى لو بنى أحدهم ملجأ للأيتام، بل أجره في الدنيا فقط لأن أي عمل دون الإيمان باللَّه رباً واحداً وطاعته وتنفيذ أمره لا يساوي عند اللَّه شيئاً. يقول تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٢٣]

والمسلم العاصي الذي يموت متلبّساً بفاحشة الخمر أو الزنا أو الربا أو الظلم أو جاء دون صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج، شأنه في البرزخ ويوم القيامة إن لم يتب شأن الكافر الذي مات على الكفر في العذاب، إلا أنه لا يخلد في النار كالكافر والمشرك، لذلك من لم يسارع من المسلمين إلى التوبة قبل الموت، فإن مصيره مظلم قاتم ينتظره العذاب في البرزخ قبل الآخرة، وويل وكل الويل لمن مات كافراً أو عاصياً لم يتب إلى اللَّه سبحانه ويغتنم رحمته في الدنيا قبل الموت.

وأعظم بيان من اللَّه تعالى لعباده في الأرض، مهما كان انتماؤهم العقائدي ومهما زادت معاصيهم وبلغوا بها شأواً بعيداً، أن ترك لهم باباً عظيماً مشرعاً مفتوحاً على مصراعيه للتوبة طالما لم يغرغروا[1].

يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

[سورة الفرقان، الآية: ٧٠]

. . . وفوق كل هذا الفضل العظيم للمؤمن المسلم في حياته الدنيا جعل اللَّه سبحانه له عملاً عظيم الحسنات، إن قام به يلحقه بعد موته في برزخه، وتبقى صحيفته بيد الملكين مشرَّعةً ومفتوحةً، يسطر فيها حسنات هذا العمل إلى يوم القيامة في كل يوم، ولو امتد الزمن إلى يوم القيامة عشرة آلاف عام.

. . . وقد بيَّن اللَّه سبحانه ورسوله الكريم ﷺ أن هذه الأعمال الصالحة التي تلحق المؤمن في برزخه هي من عمله في حياته الدنيا، وما يهديه الأحياء بعد موته من أهله وإخوانه المسلمين، وما يكون من الملائكة من استغفار وطلب الرحمة لهم، وقد جعل اللَّه سبحانه جزاء هذه الأعمال تصيب بفضلها وعظيم أجرها فاعلها والموهوب له من الأموات. . . وما كانت من المؤمن في حياته الدنيا تلحقه في برزخه كما أسلفت لتصب له في صحيفته من الحسنات ما لا يعلمه إلا اللَّه، ولبيانها وجِلائها ووضوحها نبيِّن كلاً منها بفقرة مستقلة زيادة في الإيضاح وليسعى جميعنا إلى فعلها قبل مباغتة الموت قدر استطاعتنا.

---

(١) يغرغروا: أي تصل أرواحهم إلى حلوقهم في حالة النزع.